مطابقة لقوله اطفاء هما الله ويكون تخييبهم وابطال ما رجوه هو
تركهم في ظلمات الحيرة لا يهتدون الى التخلص مما وقعوا فيه ولا يبصرون
سبيلا بل هم صم بكم عمي • وهذا التقدير وان كان حقا في كونه
مرادا بالآية نظر فانها السياق انما قصد لغيره وبأباه قوله
فلما اضاءت ما حوله وموقد نار الحرب لا يضيء ما حوله ابدا
وبأباه قوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون • وهذا يقتضي
انهم انتقلوا من نور المعرفة والبصيرة الى ظلمة الشرك والكفر ✲
قال الحسن هو المنافق ابصر ثم عمي وعرف ثم انكر ولهذا قال
فهم لا يرجعون اي لا يرجعون الى النور الذي فارقوه • وقال في حق
الكفار صم بكم عمي فهم لا يعقلون فسلب العقل عن الكفار اذ لم يكونوا
من اهل البصيرة والايمان • وسلب الرجوع عن المنافقين لانهم
امتنعوا كفرا فلم يرجعوا الى الايمان فصل ثم ضرب لهم مثلا
اخر فقال او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم
في اذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين ✲
فشبه نصيبهم بما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من النور والحياة
بنصيب المستوقد للنار الذي طفيت عنه احوج ما كان اليها • وذهب
نوره وبقي في الظلمات حائرا لا يهتدي سبيلا • ولا يعرف طريقا
وبنصيب اصحاب الصيب وهو المطر الذي يصوب اي ينزل من علو
الى سفل • فشبه الهدى الذي هدى به عباده بالصيب لان القلوب
تحيى به حياة الارض بالمطر ✲ ونصيب المنافقين من هذا المطر نصيب
من لم يحصل له من الصيب الا الظلمات والرعد والبرق ولا نصيب له

فتأمل

فيما وراء ذلك مما هو المقصود بالصيب من حياة البلاد والعباد والشجر
والدواب وتلك الظلمات التي فيه وذلك الرعد والبرق مقصود لغيره
وهو وسيلة الى كمال الانتفاع بذلك الصيب ✲ والجاهل المفرط
جهله يقتصر على الاحساس بما في الصيب من ظلمة ورعد وبرق
ولوازم ذلك من برد شديد وتعطل مسافر عن سفره وصانع عن
صنعته ولا بصيرة له تنفذ الى ما يؤول اليه امر ذلك الصيب من
الحياة والنفع العام • وهكذا اشارة كل قاصر النظرة ضعيف العقل
لا يجاوز نظره الامر المكروه الظاهر الى ما وراءه من كل محبوب •
وهذه حال اكثر الخلق الا من صحت بصيرته ✲ فاذا راى ضعيف
البصيرة منافي الجهاد من التعب والمشاق والتعرض لتلف المهجة
والجراحة الشديدة وملامة الاقوام ومعاداة من يخاف معاداته
التي اليها تسابق المتسابقون وفيها يتنافس المتنافسون ✲
ولذلك من عزم على الحج الى البيت الحرام فلم يعلم من سفره ذلك الا مشقة
السفر ومفارقة الاهل والوطن ومقاساة الشدائد وفراق المالوفات
ولا يجاوز نظره وبصيرته اخر ذلك التعب وما آله وعاقبته
فانه لا يخرج اليه ولا يعزم عليه • وحال هؤلاء حال ضعيف البصيرة
والايمان الذي يرى ما في القرآن من الوعد والوعيد والزواجر والنواهي
والاوامر الشاقة على النفوس التي تفطمها عن رضاعها ما تدري
الملوفات والشهوات • والفطام على الصبي اصعب شيء واشقه ✲
والناس كلهم صبيان العقول الا من بلغ مبالغ الرجال العقلاء الالباء
وادرك الحق علما وعملا ومعرفة • فهذا الذي ينظر الى ما وراء الصيب

Copyright © King Saud University